

**"صراع العربية مع العبرية في المناطق المحتلة عام 1948"**

**د. محمد دوابشة**

**كلية العلوم والآداب – الجامعة العربية الأمريكية**

**أ. محمد ابو أبو الرب**

**كلية العلوم والآداب – الجامعة العربية الأمريكية**

مقدمة :

كانت اللغة العربية اللغة المسيطرة في فلسطين منذ الفتح العربي في القرن السابع الميلادي، وفي فترات معينة احتلت لغات أخرى مكان العربية، ففي فلسطين في العهد العثماني، كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية للحكومة، وقد تعلمها السكان المحليون الذين كانوا على اتصال مع المسؤولين الأتراك أو عملوا عندهم، وكان لعدد مهم من اللغات الأوروبية (مثل الفرنسية و الإيطالية و الألمانية و الروسية و اليونانية) مكانة دينية خاصة، وقد تم تدريس لغات أخرى للتخاطب مع الحجاج المسيحيين، وكان تعدد اللغات مألوفاً خصوصاً في المدن الكبيرة، مثل القدس، فبالإضافة إلى اللغة العربية كانت اللغات المستعملة التركية و اليونانية و اليديش و الإنكليزية و الألمانية اللاتينية، وكان كثير من الناس وخصوصاً أولئك القاطنون في المدن ثنائيي اللغة أو متعددي اللغة .

تنعكس التغيرات الاجتماعية والسياسية بشكل أو بآخر على اللغة، أي لغة كانت، وتظهر بعض الدراسات تأثير هذه التغيرات على اللغة، فعندما أعلنت إسرائيل أنها دولة قومية عرقية منذ إنشائها، انعكس هذا التعريف على فكرها في أحادية اللغة، لذا تجاهلت واقع تعدد الثقافات مع العرب.

وتركز هذه الدراسة على الصراع اللغوي (العربية مع العبرية) للفلسطينيين في إسرائيل، فالفكرة الأساسية الذي تتبناها الدراسة، أن الجانب اللغوي هو انعكاس للوضع الاجتماعي – السياسي الخاص في الدولة العبرية، بالرغم من وجود عدة لغات مهمة عندهم، لكن التركيز سيكون بشكل رئيس على صراع العربية مع العبرية؛ نظراً للتأثيرات الاجتماعية والسياسية واللغوية المتداخلة.

إن الواقع اللغوي للفلسطينيين في إسرائيل في الوقت الحاضر يتغير بسرعة، وذلك لعدة أسباب، منها الصراع المتبادل بين العربية والعبرية والإنكليزية مع بعض اللغات بشكل عام، وكذلك صراع العربية مع العبرية في المدن والقرى العربية بشكل خاص. واللغة العربية في اللغة الأم واللغة القومية لدى المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، وهي لغة عدد لا بأس به من اليهود الشرقيين، وهي اللغة الرسمية الوحيدة للبلدان المجاورة لإسرائيل، وتتمتع بمكانة خاصة بين الدول الإسلامية، ولغة الأقلية في إسرائيل ومعترف بها بوصفها لغة رسمية ثانية.

كانت اللغة العربية الرسمية في فلسطين التاريخية حتى إنشاء الكيان الصهيوني، وبسبب الظروف الاجتماعية في جميع المدارس العربية الفلسطينية في إسرائيل من الصف الأول وحتى الصف الثاني عشر وفي عدة معاهد عليا لتأهيل المعلمين. أما اللغة العبرية فهي لغة الدولة المسيطرة، ويتم تعلمها بشكل رسمي وغير رسمي، وبما أن العبرية تلقى اهتماماً أكبر في إسرائيل، فإن الفلسطينيين يتعلمونها كلغة الدولة وليست كلغة أجنبية.

البحث :

تهدف هذه الدراسة بيان واستيضاح تأثير العوامل اللغوية على الواقع للفلسطينيين، ويمكن النظر إلى هذا الجانب من خلال ثلاث مجموعات من العوامل المترابطة: موقف إسرائيل من العرب الفلسطينيين في إسرائيل، والتطورات الداخلية داخل المجتمع العربي نفسه، وموقف العرب أنفسهم من اللغة .

وقد كانت إحدى نتائج التحديث والاتصال مع اليهود إدخال بعض جوانب الثقافة الغربية التي كان بعضها في السابق غريباً عن المجتمع العربي في فلسطين وقد أدى التحديث والتحويل الحضري إلى تغييرات اجتماعية رافقها تغييرات لهجية ولغوية.

وقد أدت نهاية الحكم العثماني في فلسطين العام 1917 إلى تغييرات في جميع مناحي الحياة ومن ضمنها اللغة، وقد عزز الانتداب البريطاني في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي كانت آنذاك مترسخة كاللغة التي تم إحيائها للمجتمع اليهودي .

### 1- مكانة العربية في الدول العبرية:

إن اللغة العبرية هي اللغة المسيطرة في إسرائيل والعربية هي لغة مهمة فقط للأقلية العربية، ولا يوجد لها دور مركزي في المعاملات الرسمية أو المراكز الحكومية والمراسلات في المدن والقرى العربية، ولم يكن الحال كذلك قبل إنشاء إسرائيل. ويتزامن هذا التغيير مع التغيير السياسي والسكاني، حيث أصبح اليهود أغلبية وأصحاب سيادة في الجزء الخاص بهم من فلسطين المقسمة، وسعوا إلى جعل الهوية العبرية لغة مهيمنة.

وقد ظهرت إشارات هذا التغيير اللغوي قبل نصف قرن من إنشاء إسرائيل، وكان إحياء اللغة العبرية ودخولها إلى الحلبة عنصراً رئيسياً في تغيير المشهد اللغوي الاجتماعي في فلسطين

اليوم لا تشكل اللغة العربية في إسرائيل تعديداً للغة العبرية، ولا يتم إدراكها بأنها كذلك من قبل الجمهور العام، أو بين هؤلاء الذين يضعون السياسة، وعلى العكس من ذلك يتذمر الكثيرون من المستوى المنخفض في معرفة العربية بين اليهود، ويودون تغيير الوضع، إن اللغة العربية في إسرائيل هي لغة أقلية فلسطينية، أقلية هامشية في جميع المجالات العامة، وتم التركيز على العربية كلغة الأمن والحفاظ على النفس والدولة معاً ، وليس كلغة ثانية .

اما عن مكانة اللغة العربية في الدولة العبرية؟ فقد كان المحور الأكثر أهمية في الإيديولوجية الصهيونية هو خلق هوية جديدة، تختلف عن هوية الشتات في جميع المفاهيم في الهوية الجديدة سيتكلم الشخص العبري اللغة العبرية، وسيعمل في الأرض العبرية، أي، يمكن القول، إنه بتغيير الهوية يمكن حصول تغيير رئيس في الشخص وفي الأرض، عندما يشكل إحياء اللغة العبرية (الشخص)، والقيم المنسوبة إلى العمل العبري (الأرض) العاملين الرئيسيين، وهكذا فقد شكل إحياء اللغة العربية مكاناً في بناء الهوية القومية اليهودية الجديدة، وفي الهوية الجديدة، يوجد مكان فقط للغة واحدة: العبرية، والعرب- بالطبع- هم خارج هذه الدائرة .

إن دور اللغة العربية محدود جداً، وهيمنة العبرية تكاد تكون شاملة، واليوم عندما يغادر الفلسطيني مكان إقامته، فهو لا يتمكن من تصريف أموره دون اللغة العبرية، إن بقاء اللغة العربية كلغة التدريس ساعد في الحفاظ على العربية و على نسيجها اللغوي الاجتماعي كلغة أمة، وإن معرفة العربية واستعمالها، هو الأمر الذي حافظ أكثر من أي شيء آخر على الهوية القومية للعرب في الدولة اليهودية .

إن المتكلمين بالعربية معرضون لوسائل الإعلام العربية، خصوصاً التلفاز والراديو والفضائيات، وهذا يساهم في تقوية العربية الفصيحة. فعلى مدى نصف القرن الماضي، حصل تحسن واضح على نسبة التعليم بين الناطقين بالعربية وسنواته أيضاً، وإحدى التأثيرات المهمة لهذا التغيير كانت زيادة في معرفة العربية الفصيحة واستعمالها، خصوصاً المفردات، الأصوات والعبارات، بالإضافة إلى التعليم؛ لأسباب عدة منها، الاتصال مع الدول العربية بعد حرب 1967، ومعاهدات السلام مع بعض الدول العربية، وقد كان التلفاز من أكثر المصادر أهمية للاطلاع على اللهجات العربية غير الفلسطينية ومعرفة شيء عنها. وثمة ظاهرة أخرى جديرة أن تذكر، هي الفضائيات العربية، وتمكن أهميتها بأنها اطلعت العربي الفلسطيني على جميع اللهجات العربية، ويلاحظ الاستعمال الواسع للعبرية والانكليزية (بشكل رئيسي العبرية) أيضاً على كل من اللافتات الخاصة والعامة في القرى والمدن العربية، ويشير هذا إلى جميع الأشياء اللغوية التي تبرز معالم الحياة العامة، وتشمل لافتات الطرق وأسماء المواقع والشوارع والبنائيات والأماكن والمؤسسات، وأيضاً لوحة الإعلانات، والإعلانات التجارية وحتى بطاقات الزيارة الشخصية، وتكون بعض هذه الاستعمالات اللغوية من قبل مؤسسات الدولة والبعض الآخر من قبل المجتمعات المحلية وأخرى من قبل الشركات والهيئات والأفراد.

فالواقع اللغوي الفلسطيني في إسرائيل يظهر أن غالبية اللافتات التجارية هي ثنائية (أكثر من 60%)، وعادة ما تكون عربية - عبرية أو عبرية - عربية ، وحوالي سدس اللافتات هي ثلاثية، وغالباً جداً تكون عربية - عبرية - إنكليزية، واللغة العبرية موجودة في غالبية اللافتات ثنائية اللغة ولكنها تظهر أيضاً كاللغة الوحيدة في أكثر من 20% من اللافتات، وهي تعادل ذلك في ذلك اللغة العربية .

وتؤدي اللغة العربية أحياناً وظيفة رمزية أيضاً كما ينعكس في عدد من المعاني، فإما أنها :

- 1- تدل في حقيقة استعمالها بأنها إحدى وسائل التحديث في المجتمع العربي.
- 2- أو يرمز استعمالها إلى المكانة العالية للأشياء التي تمثلها العبرية.
- 3- أو أنها ترمز إلى استعداد العرب لفتح العرب نافذة على المجتمع الإسرائيلي.

وفي دراسة علمية ميدانية طلب من بعض الطلاب العرب، وهم طلبة في مدارس ثانوية وكليات عربية، في تسعة أماكن (قرى ومدن عربية ومدن مختلطة) من مناطق جغرافية مختلفة في إسرائيل وفي كليتين (واحدة في المثلث والأخرى في النقب) .

طلب منهم أن يقرأوا العبارات التي تظهر في الاستبيان وأن يشيروا إلى أية درجة يوافقون فيها على المضمون، وقد تضمنت هذه العبارة نواحي متنوعة حول اللغة : الناحية

الرمزية واختلاط اللغات ، واختيار اللغة ، وتعليم اللغات، وأساسية اللغة في نظر المتكلم، واستعمال اللغة لأغراض عملية، والمعرفة اللغوية، والأهمية الثقافية للغة، والأهمية السياسية والمكانية العالية التي تمنحها اللغة لمستعمليها. وقد أظهرت نتائج البحث فروقات شاسعة في إدراك اللغات الثلاث، ففي اللغة العربية، كان الجانب الرمزي، هو الأكثر أهمية؛ لأن العبارات التي عالجت هذا الموضوع حصلت على التقييم الأعلى ( مثل "أنها لغتي القومية" ، إنني فخور باللغة العربية"، الخ)، وقد تم إدراك اللغة العربية على أنها لغة الاتصال مع الاسرائيليين اليهود في النواحي المختلفة، أي انها لغة مفيدة لأغراض عملية ("تعلم العبرية يزيد من فرص قبول المرء في الجامعة" ، "إيجاد عمل في إسرائيل " الخ)، وحصلت ست عبارات حول هذا الموضوع على التقييم الأعلى وفي المقابل ، فقد تم فهم اللغة الانكليزية على أنها لغة حيوية لأغراض عملية.

## 2- سياسة التعليم :

إن أحد الأهداف الرئيسية للتعليم في الوسط العربي، هو تفرغ التعليم العربي من أي محتوى قومي، فقد سعى الساسة منذ إنشاء دولة إسرائيل، لتعزيز العامل الديني الثقافي والمواطنة الإسرائيلية بدلاً من العامل القومي – العربي" وتتوافق هذه السياسية مع تعريف إسرائيل وتعريفها بأنها دولة يهودية، وقدمت تنفيذ هذه السياسة من خلال المناهج .

وتمت إزالة المنهاج والكتب المدرسية السابقة التي استعملت في عهد الانتداب البريطاني بشكل كامل، ثانياً وهدفت المناهج والكتب المدرسية الجديدة إلى تشديد سيطرة الدولة على مضامين التعليم العربي، ويظهر تحليل الأهداف التربوية العربية والمناهج ومحتوى الكتب المدرسية ، بوضوح، بأن الدولة تهدف إلى إضعاف الهوية العربية الفلسطينية .

فالكاتب المدرسية في الوسط العربي في اللغتين العربية والبرية لا تلبي حاجات الطالب العربي، ومن خلال التعليم العربي تطمع الدولة الإسرائيلية إلى تحقيق سياسة التفرغ القومي بين الأقلية العربية، أي : إضعاف قيمة الهوية واللغة ، إذ تركز المنهاج على نصوص من الفترة الكلاسيكية العربية التي لا تمت بصلة إلى حياتهم اليومية. ففي المنهاج الأخير، تم ذكر اعتزاز الطلاب العرب بلغتهم، كأحد أهداف تعليم العربية، ولكن لا يوجد تطابق بين الأهداف المعلنة للمنهاج وبين المواد التي تم تعلمها ، مثلاً، إن أحد الأهداف ، هو " فخر العربي في لغته القومية " ، وهذا شعار أكثر من كونه حقيقة؛ لأنه لا ينعكس في المواد وقد قمنا بإجراء استفتاء في الأرض المحتلة عام 1948، ووزعنا استبانته على فئات عربية مختلفة في المستوى التعليمي والفكري، وطرحنا عليهم أسئلة، أجابتها نعم أو لا أو لا أدري .

وقد كانت إجاباتهم على النحو التالي :

اللغة العربية هي الأقوى في مواجهة الصراع مع العبرية:

48 نعم و 24 لا و 3 لا أدري

اللغة العبرية هي الأقوى في مواجهة الصراع مع العربية:

21 نعم و 51 لا و 23 لا أدري

- هل هناك دافع داخلي وإرادة حقيقية لمواجهة هذا الصراع؟
- 62 نعم و 7 لا و 6 لا أدري ط
- هل هناك خوف من ذوبان اللغة العربية في الأراضي المحتلة سنة 1948 .
- 39 نعم و 29 لا و 9 لا أدري
- هل الانتماء والقومية لهما دور في مواجهة الصراع اللغوي؟
- 70 نعم و 5 لا و (0) لا ادري
- هل سهولة اللغة العبرية جعلتها تحل محل اللغة العربية .
- 30 نعم و 40 لا و 5 لا أدري
- دور الأهل والأسرة في التصدي للصراع بين اللغتين .
- 64 نعم و 10 لا و 1 لا أدري
- اللغة ذاتها في مواجهة اللغة العبرية وقدرتها على مواجهتها .
- 26 نعم و 44 لا و 5 لا أدري
- دور أصحاب اللغة العربية إن كانوا قادرين على النهوض بها لمواجهة العبرية
- 63 نعم و 6 لا و 6 لا أدري
- هل يوجد صراع لغوي تشعرون به ومواجهة بين اللغتين .
- 50 نعم و 18 لا و 7 لا أدري

ويدل هذا الاستفتاء الموضوعي على :

- الإصرار على المحافظة على اللغة
  - وعدم الذوبان الثقافي
  - الانتماء القومي والديني عند العرب 1948 .
  - إصرار الأهل والأسرة على تربية أبنائهم على اللغة العربية وتعلمها منذ النشأة .
- ويعطون كذلك الدور الأكبر لأصحاب اللغة وأهلها في المواجهة والصراع بين اللغتين لا إلى اللغة ذاتها التي يرون أن لها دوراً أيضاً في ذلك بسبب عظم إمكاناتها وخصائصها
- ولا ننسى أن هناك دافعاً داخلياً لدى أصحاب العربية للمواجهة والتحدي والمحافظة على العربية .
- ويرجع الذين أجابوا عن الاستبانة - وعددهم خمسة وسبعون شخصاً من الجنسين، وبمستوى تعليمي عال ومتوسط- أسباب وجود الصراع بين اللغتين للأسباب التالية:-
- التمييز العنصري بين الشعبين في الدولة أدى إلى القومي الذي امتد إلى اللغة .
  - الاختلاط بين الشعبين والاحتكاك المباشر بينهما .
  - كون العبرية اللغة الرسمية ولغة الإعلام بوسائله المختلفة، أدى الشعور بالضييق والغيرة على العربية.
  - الجهل بقيمة العربية

- لان العبرية لغة التعليم في الجامعات ومختلف المؤسسات التعليمية أدى إلى الغيرة على العربية .
  - سبب خارج عن إدارة الشعبين وهو الغرض من السلطة .
  - الصراع السياسي سبب في الصراع اللغوي
  - المناهج وطبيعتها لغوياً
  - انعدام الوعي القومي والثقافي .
  - الرغبة في الانخراط في المجتمع الإسرائيلي مقابل الرغبة في المحافظة .
  - سهولة العبرية عند بعضهم سبب للصراع والمنافسة
  - أغلبية السكان تلعب دوراً في قضية استعمال اللغة في الدولة .
  - عدم الاهتمام بالعربية واحتسابها في القبول في الجامعات والوظائف .
- وعند طلب منهم الاقتراحات من أجل النهضة بالعربية أمام العبرية اقترحوا:-

- إيجاد وسائل إعلان باللغة العربية نطقاً وكتابة
- إيجاد مؤسسات تعليم عالي بالعربية
- مؤسسات تجارية مستقلة لغتها العربية
- التمسك باللغة العربية بالكلام بها فقط
- التركيز على دور الأهل مع أبنائهم ودور الأسرة.

المحاولة بالنسبة للمناهج :

تعريف العرب بالصراع من أجل الوعي في هذا المجال

التركيز على دور المدرسة

التمسك بالدين والتركيز عليه حتى يمتد ذلك إلى اللغة

الكتابة الأدبية باللغة العربية ونشر ما يكتب والإنفاق على ذلك .

البعد عن العامية واستخدام الفصيحة قدر الامكان .

استخدام العربية رسمياً إلى جانب العبرية وإعادة الثقة بها حتى تنهض اللغة .

وبعد، فما هم أولاء أصحاب الصراع وطرفه المباشر، يجدون الأسباب ويشرحون الواقع الأليم الموجود، ويطرحون الحل، ويقترحون الوسائل الممكنة، لكي يبقى الصراع موجوداً على الأقل إذا لم يحسم، ونقول أن الباحثين يتبنين هذه الاقتراحات جميعاً خدمة للغة العربية ولأرض العربية و للعرب الذين يسكنون ذلك الجزء من أرضنا.

## المصادر والمراجع :

- أمارة، محمد، اللغة والهوية في اسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ط1، 2002.
- مرعي، عبد الرحمن، مكانة اللغتين العربية والعبرية في الماضي والحاضر، مجلة الرسالة، كلية بيت بيرل، 1898.
- أمارة، محمد، وآخر، قضية التعليم في المدارس العربية في اسرائيل، مركز جفعات حبيبا، 1999.
- عايش وآخرون، العربية الحديثة في إسرائيل، 1983.